236399 ـ الكلام على حديث : (مَنْ صَمَتَ نَجَا) .

السؤال

ما هو الفهم الصحيح لحديث "من صمت نجا" ؟

ملخص الإجابة

والخلاصة : أن المقصود
بالحديث الأمر بالصمت ، إلا عن الخير فهو مأمور به ، كذكر الله تعالى وتعلم العلم
وتعليمه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... ونحو ذلك .

والله أعلم.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

روى الترمذي (2501) ، وأحمد (6481) ، والطبراني في "الكبير" (113) ، وابن المبارك في "الزهد" (385) ، والبيهقي في "الشعب" (4629) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ صَمَتَ نَجَا) .
وقال العراقي في "تخريج الإحياء" (ص996) : " إسناده جيد " ، وقال الحافظ في "الفتح" (11/309) : "رواته ثقات" ، وقال السخاوي في " المقاصد الحسنة " (ص: 653) " شواهده كثيرة " ، وقال المنذري في "الترغيب والترهيب" (3/343) : " رواته ثقات " وحسنه محققو المسند ، وصححه الألباني في "صحيح الترمذي" ، وكذا صححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

ومعنى الحديث :
أن الصمت سبب للنجاة ، فمن صمت نجا من آفات اللسان ، وآفات اللسان غير محصورة ، فكان سبيل النجاة والفلاح للعبد الناصح لنفسه أن يتأمل كلامه قبل أن يقوله ، فإن كان فيه خير ، تكلم به ؛ وإلا ففي الصمت منجاة من الإثم ، ومن مغبات جرائر اللسان ؛ وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) رواه البخاري (6019) ، ومسلم (48).

قال ابن عبد البر رحمه الله :

" الْكَلَام بِالْخَيْرِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ أَفْضَلُ مِنَ الصَّمْتِ ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ بِالْحَقِّ كُلُّهُ وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ وَمَا كَانَ مِثْلَهُ ، وَإِنَّمَا الصَّمْتُ الْمَحْمُودُ الصَّمْتُ عَنِ الْبَاطِلِ .

" انتهى من التمهيد (22/ 20) .

وقال الغزالي رحمه الله :

"فإن قلت: فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه ؟

فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان ، من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات .

فهذه آفات كثيرة ، وهي سباقة إلى اللسان ، لا تثقل عليه ، ولها حلاوة في القلب ، وعليها بواعث من الطبع ، ومن الشيطان ، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان ، فيطلقه بما يحب ، ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم ـ كما سيأتي تفصيله ـ .

ففي الخوض خطر، وفي الصمت سلامة ، فلذلك عظمت فضيلته .

هذا ، مع ما فيه من جمع الهم ، ودوام الوقار ، والفراغ للفكر والذكر والعبادة ، والسلامة من تبعات القول في الدنيا، ومن حسابه في الآخرة، فقد قال الله تعالى (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عتيد)

ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر، وهو: أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر.

وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر : فهو فضول، والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام، وبقي ربع ، وهذا الربع فيه خطر ؛ إذ يمتزج بما فيه إثم ، من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام، امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطراً.

ومن عرف دقائق آفات اللسان علم قطعاً أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب ، حيث قال (من صمت نجا) ؛ فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعا ، وجوامع الكلم ، ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء" .

انتهى من "إحياء علوم الدين" (3/ 111-112) .